

# الفصل العاشر

## انتهاكات القانون الدولي الإنساني

### وحقوق الإنسان

#### ١- أهداف القانون الدولي الإنساني

القانون الدولي الإنساني - فرع من فروع القانون الدولي العام - هو مجموعة القواعد العرفية والمكتوبة الملزمة التي تستهدف تخفيف ويلات النزاعات المسلحة، سواء بتقييد حرية أطراف النزاع في كيفية إدارته واختيار وسائل القتال، أو تقليل معاناة المنخرطين فيه، وتجنيب المدنيين وغيرهم من غير المقاتلين ويلاتهم، ومنع الإضرار الجسيم بالبيئة، مع محاكمة مرتكبي هذه الانتهاكات.

#### ٢- مصادر القانون الدولي الإنساني

لهذا القانون مصدران رئيسيان هما: العرف الدولي، والاتفاقات الدولية. وقد تشكلت قواعد عرفية منذ القدم بتأثير الأديان السماوية بوجه خاص؛ بهدف تخفيف ويلات الحروب، ثم عقدت الاتفاقات بشأنها.

وبدأ تقنين قواعده منذ القرن التاسع عشر فيما أصبح يعرف بقانون لاهاي وقانون جنيف، أما الأول، فهو الذي يبين حقوق وواجبات المتحاربين في تسيير العمليات الحربية ويحرم استخدام بعض الأسلحة ويتمثل في اتفاقات لاهاي لعام ١٨٩٩ و١٩٠٧، وألحق بها عدد من الاتفاقات الأخرى الخاصة بحظر استخدام بعض

الأسلحة. والثاني، هو قانون جنيف الذي يهدف إلى حماية الفرد من ويلات النزاع المسلح، ويشمل - بوجه خاص - اتفاقات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩ والبروتوكولين الإضافيين الملحقين بها لعام ١٩٧٧<sup>(١)</sup>.

### ٣- أهم أحكام القانون الدولي الإنساني

(أ) - من أهم الأحكام الخاصة بتسيير العمليات الحربية ما يلي:

- حظر استخدام الغازات السامة أو الخانقة.
- حظر إنتاج وتخزين ونقل واستخدام الألغام المضادة للأفراد.
- حظر الأسلحة الكيماوية والأسلحة البيولوجية.
- حماية الأعيان المدنية بحظر الاعتداء عليها أو نهبها أو تدميرها أو مصادرتها (إلا لضرورات حربية).

● حماية الأعيان والممتلكات الثقافية.

● حماية البيئة الطبيعية وعدم تدميرها إلا إذا شكلت أهدافاً عسكرية.

● حظر الهجوم العشوائي الموجه إلى أهداف عسكرية ومدنية دون تمييز.

(ب) - ومن أهم الأحكام الخاصة بحماية الأشخاص ما يلي:

● حماية المدنيين (غير المشاركين في القتال).

● حماية المدنيين تحت الاحتلال الحربي.

● حماية الجرحى والمرضى في ميدان القتال والغرقى والمنكوبين في البحار.

● معاملة الأسرى (وفقاً لأحكام اتفاقية جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩).

● حماية الأطفال والنساء وأفراد الأطقم الطبية وفرق الدفاع المدني وقوات

المنظمات الدولية.

(١) دكتور أحمد أبو الوفا: النظرية العامة للقانون الدولي الإنساني - دار النهضة العربية.

- دكتور محمد فهد الشلّالة: القانون الدولي الإنساني - دار المعارف بالإسكندرية.

#### ٤- الانتهاكات الإسرائيلية للقانون الدولي الإنساني

دأبت إسرائيل على انتهاك أحكام القانون الدولي الإنساني سواء في نزاعاتها المسلحة مع الدول ومنظمات المقاومة العربية أو في ممارستها في الأراضي العربية المحتلة .

وتكفي الإشارة إلى بعض هذه الانتهاكات على النحو التالي :

- استخدام القوة المفرطة ضد الدول العربية وسكان الأراضي المحتلة .
- استعمال أسلحة محظورة دولياً ( القنابل الانشطارية - الفسفورية بيضية . . ) .

#### ٥- المعاملة الإسرائيلية للعرب:

تتسم سياسة إسرائيل تجاه العرب بصفة عامة والفلسطينيين بصفة خاصة بالعنصرية والاستعلاء وسوء المعاملة .

والواقع أن الصهيونية تنطلق من المفهوم الذي عبر عنه - تيودور هيرتزل - في كتابه: «دولة اليهود» عن دور هذه الدولة كقاعدة متقدمة للحضارة الغربية في الشرق المتخلف . وقد عبر الكثير من رجال السياسة والكتاب الإسرائيليين عن احتقارهم للعرب واتهامهم بالتخلف والعدوانية والكسل ، كما أوجت مشاعر عدائهم وكرهيتهم لهم المقاومة التي لقيها المشروع الصهيوني من جانب الشعب الفلسطيني والدول العربية .

#### ٦- انتهاكات حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة

على مدى أكثر من أربعين عاماً، دأبت الحكومات الإسرائيلية والمستوطنون على انتهاك اتفاقات ومواثيق حقوق الإنسان في الأراضي العربية المحتلة .

وقد سبقت لنا الإشارة إلى بعض انتهاكاتهما للقانون الدولي الإنساني ، ونضيف إلى ما تقدم انتهاكاتهما لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨ ، واتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ والبروتوكولين

الإضافيين لعام ١٩٧٧ ، والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام ١٩٦٦ ، والاتفاقية الدولية ضد التعذيب لعام ١٩٨٤ ، وذلك بالرغم من تصديق إسرائيل على عدد منها . وتتضمن تقارير اللجان التي تشكلها الأمم المتحدة وتصدرها دورياً العديد من الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان .

كما تحفل تقارير منظمات حقوق الإنسان الدولية - بل والإسرائيلية مثل منظمة بتسليم - بأمثلة صارخة للمعاملة غير الإنسانية لسكان الأراضي المحتلة .

ومن انتهاكات إسرائيل لهذه الحقوق ما يلي :

#### • العقوبات الجماعية

وخاصة بفرض الحصار الخانق على قطاع غزة ، وإغلاق المناطق الفلسطينية (خلافاً للمادة ١٢ من اتفاقية جنيف الرابعة) .

#### • الإبعاد إلى الخارج

(خلافاً للمادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة) .

#### • الاعتقالات الإدارية

(خلافاً للمواد من ٧١ إلى ٧٦ من اتفاقية جنيف الرابعة) ، فقد تجاوز عدد المعتقلين الفلسطينيين إدارياً ودون محاكمة عشرة آلاف معتقل .

#### • مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات

حسبما سبق الكلام عنها ( خلافاً للمادة ٤٦ والمادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة) .

#### • تعذيب السجناء والمعتقلين

(انتهاكاً للاتفاقية الدولية ضد التعذيب لعام ١٩٨٤) . وما يذكر أن إسرائيل تنفرد بإصدارها تشريعاً يبيح التعذيب في التحقيقات التي تجريها .

#### • إتلاف المزروعات وقلع الأشجار

(انتهاكاً للمادة ٥٣ من اتفاقية جنيف الرابعة والمادة ٤٦ من لائحة لاهاى) .

## • الفارات العشوائية على المدنيين والأهداف المدنية

(انتهاكاً للبروتوكولين الإضافيين لعام ١٩٧٧).

## • الاغتيالات الفردية والجماعية

حيث دأبت إسرائيل على اغتيال قادة منظمة التحرير الفلسطينية وحركة حماس - ومن هؤلاء الشيخ أحمد ياسين و الرنتيسى و غسان كانفاني وكمال ناصر وكمال عدوان وعلى حسن سلامة و حسن عبيات<sup>(١)</sup> . . .

## • هدم منازل الفلسطينيين وتشريدهم

( انتهاكاً للمادتين ٥٣ من لائحة - لاهاي - و٤٦ من اتفاقية جنيف الرابعة).

## • الاعتداء على الممتلكات المتمتعة بالحماية

ومنها مباني البلديات وأماكن العبادة والتعليم والمباني الفنية والعلمية والمستشفيات وسيارات الإسعاف وغيرها ( انتهاكاً للمادة ٥٦ من لائحة - لاهاي - و١٩ و٢٠ وغيرها من اتفاقية جنيف الرابعة والبروتوكولين الإضافيين).

ومعظم الانتهاكات المذكورة تعتبر جرائم حرب أو جرائم ضد الإنسانية .

## ٧- جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية

• تضمن نظام المحكمة الجنائية الدولية تعريف جرائم الحرب في المادة الثامنة بأنها: «الجرائم التي ترتكب كجزء من خطة أو سياسة أو ارتكابات واسعة لهذه الجرائم»، ومنها:

القتل العمد، والتعذيب، والتدمير المكثف للممتلكات مما لا تتطلبه الضرورات الحربية، وحرمان أسرى الحرب وبقية الأشخاص المحميين عمداً من حقوقهم في محاكمات عادلة، والترحيل عمداً، وأخذ الرهائن، وبقية الانتهاكات الجسيمة للقوانين والأعراف التي تطبق في النزاعات المسلحة وخاصة الاعتداء على المدنيين والأهداف المدنية . . .

(١) انظر كتاب الرأس الفلسطيني هدفاً- تحرير عبد القادر ياسين- مكتبة الشروق الدولية .

● نصّت المادة السابعة على تعريف الجرائم ضد الإنسانية بأنها: « الأفعال التي ترتكب كجزء من الهجوم الواسع والمنهجي وتوجه ضد السكان المدنيين مع العلم بهذا الهجوم ».

ومن هذه الجرائم : القتل ، والإبادة ، والاستعباد الجنسي ، والإبعاد والترحيل القسرى - والحرمات من الحريات السياسية والقومية والإثنية لإحدى الجماعات أو اضطهادها وجريمة الأبارتايد ، والاعتصاب .

● وتختص المحكمة الجنائية الدولية بنظر الجرائم المشار إليها - وكذا جريمة الإبادة الجماعية ، وجريمة العدوان - والعقاب عليها في حالات : ما إذا كانت الجريمة قد ارتكبت في إحدى الدول الأطراف ، أو كان المتهم من مواطني تلك الدولة ، أو إذا ما أحيلت إليها القضية من مجلس الأمن في ممارسة لاختصاصه طبقاً للفصل السابع .

#### ٨ - بعض جرائم الحرب الإسرائيلية

لم تتورع إسرائيل عن ارتكاب جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في حروبها ضد الدول العربية والشعب الفلسطيني ، بل إن قادتها افتخروا بارتكابهم هذه الجرائم . وكان من أبشع تلك الجرائم قيام القوات الإسرائيلية بقتل الأسرى المصريين في حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ ، والجرائم التي ارتكبتها في حربها ضد السكان المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة على مدى ثلاثة أسابيع من ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ حتى ١٨ يناير ٢٠٠٩ .

#### ● قتل الأسرى المصريين

اعترف بعض الضباط الإسرائيليين بأنهم قتلوا - بدم بارد - أعداداً من الأسرى المصريين في تلك الحروب . فقد أدلى العميد احتياط (آريه بيرو) بحديث لصحيفة - جيزوراليم بوست - نشر بعدد يوم ١٤ أغسطس ١٩٩٥ ، اعترف فيه بارتكاب مذبحه جماعية لهؤلاء الأسرى ، كما نشرت صحيفة معاريف تحقيقاً تضمن اعترافات شهود عيان عن قتل أسرى ومدنيين قرب (ممر متلا) في حرب ١٩٥٦ ، وأثبت المؤرخ الإسرائيلي «آريه إسحاقى» أن القوات الإسرائيلية قامت في حرب ١٩٦٧ بقتل حوالى ٩٠٠ أسير مصرى وفلسطينى .

ومن ناحية أخرى ، عرضت القناة الثانية للتلفزيون الإسرائيلي « الفيلم الوثائقي »  
روح شكيد والذي أظهر بوضوح كيفية قتل الأسرى المصريين سواء بإطلاق النار عليهم  
بدم بارد أو بسحقهم بالدبابات وهم مقيدون .

ومن الواضح أن هذه الجريمة الوحشية تمثل انتهاكاً لما استقرت عليه الأعراف الدولية  
منذ القدم من تأمين حياة الأسرى ، فضلاً عن المخالفة الصارخة لكافة أحكام اتفاقية  
جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩ بشأن معاملة أسرى الحرب .

#### • جرائم الحرب ضد غزة

تضمن تقرير المقرر الخاص للأمم المتحدة (ريتشارد فولك) بشأن الحرب الإسرائيلية  
ضد قطاع غزة ، والمقدم إلى مجلس حقوق الإنسان المطالبة بفتح تحقيق بشأن العدوان  
الإسرائيلي على القطاع لتحديد ما إذا كان الإسرائيليون قادرين خلال الهجوم على  
التمييز بين الأهداف العسكرية والسكان المدنيين ، حيث إن عدم إمكان هذا التمييز  
يجعل الهجوم جريمة خطيرة وفقاً للقانون الدولي . الأمر الذي يبدو واضحاً من قصف  
الأماكن المزدحمة بما فيها من مستشفيات ومبانٍ دينية وتعليمية ومبانٍ للأمم المتحدة .  
ويشير التقرير كذلك إلى الحصار الخانق الذي فرضته إسرائيل على القطاع والذي أدى  
إلى حرمان السكان المدنيين من اللجوء خارج القطاع هروباً من النيران . ومع استخدام  
إسرائيل لأسلحة القتل والدمار الحديثة (بما فيها الفسفور الأبيض والقنابل والمتفجرات  
الفتاكة) وبشكل مكثف لا يتناسب إطلاقاً مع إطلاق الصواريخ من القطاع ، حيث  
أوقعت هذه الحرب ١٤٣٤ قتيلاً فلسطينياً منهم ٢٨٨ طفلاً و١٢١ امرأة ، و ٥٣٠٣  
مصايين منهم ١٦٠٦ أطفال و٨٢٨ امرأة . ويشير التقرير إلى حق الفلسطينيين في  
مقاومة الاحتلال الذي يرضحون تحته منذ عام ١٩٦٧ .

كما يشير التقرير إلى ما تفرضه إسرائيل على سكان القطاع من الحصار  
الخانق الذي يمنع عنهم وصول الغذاء والأدوية وغيرها من مستلزمات الحياة منذ  
شهور طويلة .

وقد تضمن تقرير لمنظمة (أطباء من أجل حقوق الإنسان) الإسرائيلية أن الجنود  
الإسرائيليين ارتكبوا جرائم حرب ضد المدنيين الفلسطينيين ، ولم يسمحوا بإجلاء

الجرحي من ميادين القتال أياماً عدة وتركوا مدنيين من دون طعام أو مياه لفترات طويلة، كما قاموا بقتل رجال الإسعاف أثناء أداء مهامهم، وهاجموا ٣٤ مركزاً طبياً فلسطينياً وخمس سيارات إسعاف تابعة للهلال والصليب الأحمر الفلسطيني. وقد كشفت صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية عن العثور على ورقة للجيش الإسرائيلي في أحد منازل غزة تتضمن تعليمات بإطلاق النار على فرق الإسعاف.

ومن ناحية أخرى، نشرت الصحف الإسرائيلية شهادات أدلى بها جنود إسرائيليون عن جرائم حرب ارتكبوها خلال الحرب، الأمر الذي أثار مخاوف الحكومة الإسرائيلية من ملاحقة القادة الإسرائيليين بهذه التهم في الدول التي تأخذ بالاختصاص العالمي للمحاكمة عن هذه الجرائم.

وعلى أية حال، فقد بدأت بعض المنظمات الحقوقية العربية في اتخاذ الإجراءات لتقديم المسئولين عن تلك الجرائم أمام المحكمة الجنائية الدولية وغيرها.

وسوف نناقش في فصل قادم وسائل مقاضاة إسرائيل عن الجرائم التي ارتكبتها.

\* \* \*